

الخطبة الثامنة

وحدة الأمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أما بعد:

قال تعالى: ﴿وَلِنَ هَدِيَهُ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: 23/52]، ولكن الناس تفرقوا واختلفوا وأخذتهم الأهواء كل فرقة تدعي الحق، وكل فرقة تحلل بعقلها المعوج ما يحلو لها، فقال تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: 23/53].

(زُبُرًا) أي: فرقة وطائفة كقطع الحديد تسمى زبراً، والمعنى: أنهم لما تركوا أوامر الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يتبعوا الوحي تفرقوا واختلفوا وفرحوا باتباعهم وأهوائهم. لذلك أمرنا ربنا سبحانه وتعالى بأية جامعة عظيمة بما فيه نجاتنا وبما فيه فلاحنا فقال تعالى: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَزَعُوا فَنفَشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنَّا اللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأنفال: 8/46]، هذه الآية أمرت:

1 - بطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ، باتباع الوحي القرآني واتباع الوحي النبوي. فالفلاح في اتباع الشريعة، الفلاح في اتباع السنة، قال ﷺ: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» عن المقدام بن معدى كَرَبٍ - رواه حم - جه - الدارمي - صحيح، فالله سبحانه وتعالى أوحى لنبيه القرآن وأوحى إليه السنة، وهي التي تفسر القرآن، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 16/44].

وتمام الحديث: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شعبان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السبع، ولا لُقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يُقرّوه، فإن لم يقرّوه فله أن يعقبهم بمثل قراه» أبو داود (4604) من عون المعبود والترمذي وابن ماجه .
 وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۗ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران: 32/3]، من ترك طاعة الله ورسوله فقد كفر، انتبه! من ترك طاعة الله ورسوله كفر، لذلك قال تعالى: ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور: 63/24].

2 - قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ أَعْيُنَكُمْ وَيُجْزِلْ جَنَّتَكُمْ ﴾ [الأَنْفَال: 46/8]. التنازع والخلاف والأخذ بالرأي والأخذ بالأهواء والابتعاد عن النص النبوي أو الوحي النبوي عاقبته الفشل في الدنيا قبل الآخرة، وقوله: ﴿ وَتَذَهَبَ رِيحَكُمْ ﴾ أي: تذهب قوتكم وشوكتكم؛ لأن التشرذم والتفرق يُضعف الأمة، وهناك فهم آخر يقول: إن عدم الالتزام بالوحي بنوعيه القرآني والنبوي هو ضعف وفشل، فالقوة في الالتزام، أو أن القوة في عدم التنازع، ولكي لا تتنازع في النص وفي فهمه وفي تطبيقه نرجع إلى الصحابة الكرام لنرى كيف فهموا هذا النص وكيف طبقوه، فهم -أي: الصحابة- هم الذين حملوا النص لنا ونقلوه وكتبوه وحفظوه وفهموه، وهم من راقب رسول الله ﷺ وعاشره وفعّلوا ما فعلوا أمامه عليه الصلاة والسلام، وهو عليه الصلاة والسلام من شهد لهم وشهد عليهم.

3 - ﴿ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأَنْفَال: 46/8]. قوله: (اصبروا) أي: اصبروا على تطبيق الوحيين، وجاهدوا واصبروا في تعاليم الوحيين، اصبروا على طاعة الله ورسوله، لأن الله سبحانه وتعالى مع هؤلاء الصابرين، وقد يسخر الناس ويعيبون عليك التزامك بالوحي، وقد يضحكون منك وقد وقد...

ولكن أبشر فقد أخبر الله تعالى بكل هذا فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَأَمَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَأَتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون: 109/23 - 111].

جزاهم الله تعالى الجنة بما صبروا في طاعة الله عز وجل ورسوله ﷺ، وفي تطبيق ما جاء بالوحيين وفي نشره وتعليمه وبيلاغه. اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين، آمين. ما أجملها من آية، ما أجملها من بشرى، ردها معي، ردها في قلبك، تمنَّ أن تكون منهم ومعهم، ادعُ الله أن تكون منهم، ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ﴾. سئل سفيان الثوري رضي الله عنه كم باباً في صحيح البخاري؟ فقال: (98) باباً، فقيل له: ابتداء بكتاب الوحي. قال: بدأه بكتاب الوحي ونهاه بكتاب التوحيد، لأنه من اتبع الوحي خُتم له بالتوحيد، أي: بالنجاة، والله سبحانه وتعالى أعلم. أعود فأقول: إن علينا الاتحاد، ولَمَّ الشمل، ونبذ الفرقة، والخلاف، وأن يكون اعتمادنا على الكتاب والسنة وفهم الصحابة الكرام، نشر المحبة والألفة بين إخواننا، ونتجاوز عن السيئات والأخطاء بيننا.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يكذبه ولا يحقره، التقوى ها هنا - ويشير ﷺ إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» رواه مسلم (2564).

قال عليه الصلاة والسلام عندما جاءه ابن اللُّثَيَّة الذي استعمله على الصدقة، فقال ابن اللُّثَيَّة: هذا لكم، وهذا أهدي إليّ، فقال ﷺ: «أفلا جلس في بيت أبيه أو أمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً؟! والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة، فلا أعرفن أحداً منكم لقي الله تعالى يحمله بغيره له

رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر، ثم رفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه فقال: اللهم هل بلغت؟» متفق عليه.

عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه» حم - البيهقي - الدار قطني - صحيح.

وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتطع شبراً من الأرض ظلماً، طوفه الله إياه يوم القيامة من سبع أراضين» (1610) مسلم.

خسرنا الأندلس لتفرقنا، خسرنا فلسطين لتفرقنا، وكلنا دويلات صغيرة، يتحكم فيها الغرب لعدم اتحادنا ولعدم تعاوننا، خسرنا الهند بعد أن كانت ولاية إسلامية وكان لها ملوك ومن أشهر ملوك المسلمين، محمد بن القاسم فتح بلاد السند (92 هـ)، وفي الدولة العباسية فتح هشام بن عمرو والي السند الملقان وكشمير، ثم جاء الغزنويين نسبة إلى مدينة غزنة ومؤسسها سُبُكْتِكِين فأخذ البنجاب، ثم جاء ابنه محمود ففتح معظم الهند وتوفي في (421 هـ) وانتهى الغزنويون في (555 هـ) ثم جاء الغوريون شهاب الدين الغوري، وتمكن قطب الدين أيبك فتح مدينة دلهي، وتنازع المسلمون حتى دخل تيمورلنك دلهي عام (801 هـ) وتقسمت بعدها الهند إلى دويلات.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال ﷺ: «إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة» حم - د - ت.

وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بخياركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الذين إذا رُؤوا ذُكِرَ الله تعالى، ثم قال: ألا أخبركم بشراركم، قالوا: بلى يا رسول الله، قال ﷺ: المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة الباغون للبراء العنت» حم - البخاري في الأدب المفرد.

(الباغون للبراء العنت) معناه: أنهم يريدون في حق الأبرياء من عباد الله تعالى التعب والمشقة والفتنة والشر، والتفرقة والتشاحن والتباغض، نفسيتهم مريضة،

لا يحبون الخير للناس، ولا يدعون الناس من شرورهم وفسادهم، أعاذنا الله منهم وأبعدنا عنهم.

وقال عليه الصلاة والسلام: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» مسلم.
وعن عمران بن الحصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من نصر أخاه بالغيب وهو يستطيع، نصره الله في الدنيا والآخرة» البزار، وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مُصدِّقٌ وأنت به كاذب» حم، وقال عليه الصلاة والسلام: «الكِبْرُ بَطْرُ الحقِّ وَعَمَطُ الناسِ» مسلم.
وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الكِبْرُ سفه الحقِّ وازدراء الناسِ» مسند الإمام أحمد.

إذا فهمنا هذا عرفنا لماذا قال عليه الصلاة والسلام: التقوى ها هنا ويشير إلى صدره ثلاثاً. التقوى في القلب وبرهانها:

التوقف عند قول الله عز وجل وقول رسوله ﷺ، التقوى في القلب وبرهانها الرجوع إلى الحق، والخوف من القول على الله وعلى رسوله بغير علم. والعلم بأن الله مطلع عليك وعلى أقوالك وأفعالك ونياتك، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾ [الحجرات: 13/49].

التقوى في القلب هي صمام الأمان للسان وللعين وللأذن وللشعور بالمحبة، والتناصر والتعاطف والميل، التقوى ها هنا، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعْرَهُ اللَّهُ فَأِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: 22/32].

وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ فكل ضعيف مستضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار، كل عتل جواظ مستكبر» متفق عليه.

قال ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» مسلم.

وعن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تؤذوا عباد الله، ولا تعيروهم، ولا تطلبوا عوراتهم؛ فإن من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته» حم.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بغيرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: 58/33].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «المؤمن مرآة المؤمن، المؤمن أخو المؤمن يكف عن ضيعته، ويحوطه من ورائه» أبو داود.

وقال يحيى بن معاذ الرازي: ليكن حظ المؤمن منك ثلاثة: 1 - إن لم تنفعه فلا تضره، 2 - وإن لم تفرحه فلا تغمه، 3 - وإن لم تمدحه فلا تدمه.

واستنصح عمر بن عبد العزيز الحسن البصري عندما ولي الخلافة، فقال الحسن رضي الله عنه: 1 - اجعل كبير المسلمين عندك أباً، 2 - وصغيرهم ابناً، 3 - وأوسطهم أحماً، فأبي أولئك تحب أن تسيء إليهم؟ أي: أنه لا أحد يحب ولا يرغب ولا يرضى أن يسيء إلى أبيه أو ابنه أو أخيه.

قال عليه الصلاة والسلام: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم» الترمذي (1395) - النسائي (3987) - ابن ماجه (2619).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: 23/24]، فهذه حرمة الأعراس وقد قال المفسرون: الآية تشمل الرجال والنساء.

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَّ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِلَأَلِقَابٍ﴾ [الحجرات: 11/49].

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: 12/49].

وقال عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع: «فإن دماءكم وأموالكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربكم ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد» عن أبي بكر - البخاري (1741) - مسلم (1679).

الصلوات جماعية - الصيام جماعي - الحج جماعي - الاجتماع على القراءة والمدارسة والتفقه في الدين - الزكاة جماعية - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جماعي - صلاة الجمعة - صلاة العيدين - الاستسقاء - الجنازة جماعية... نحن مسلمون أولاً - نحن إخوة في الدين - التعصب والتمذهب واللون والعرق والنسب والمواطن لا يهم.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: 6/52].

نزلت لما طلب الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن من الرسول ﷺ أن يطرد صهيياً وعماراً وبلالاً وخباباً رضي الله عنهم. قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: 3/103].

فلا كيان لنا ولا قوة لنا إلا باتحادنا ووحدة كلمتنا وكوننا صفاً واحداً نتعاون بيننا في كل شيء، ولا بد من إنشاء مجلس شورى أو أهل حل وعقد يخططون لنا ويبرمجون لنا ونرجع إليهم في كل أمورنا، جاء بعض أصحاب رسول الله ﷺ يشكون له أنهم يأكلون ولا يشبعون، قال ﷺ: «فلعلكم تفرقون؟ قالوا: نعم، قال ﷺ: «فاجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله عليه؛ يبارك لكم فيه» حتى الاجتماع يأتي بالبركة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم